الإسلام وبناء الحضارة

د. إبراهيم الأمين أحمد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي رسولنا الكريم محمد ابن عبدالله عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم وعلي اله و صحبه أجمعين.

أما بعد

فإن الإسلام قد بنى حضارة هي من أعظم الحضارات التي عرفتها البشرية ومفهوم الحضارة في لإسلام ارقى مفهوم فهي ليست الرقي المادي فحسب بل يشمل الشق الروحي المتمثل في القيم و الأخلاق والتصورات الحقيقية للأشياء الإسلام لم يقف يوماً أمام الحضارة بل بما فيه من تصورات وتوجيهات ومناهج هو الذي يبني الحضارة ،أشاد حضارة أثارها باقية في كل ناحية من النواحي بل في كل ببقعة من بقاع الأرض وأن تتكرر لها الأعداء فكان هذا البحث الذي بعنوان الإسلام وبناء الحضارة لما لهذا الموضوع من أهمية.

أولاً: أهمية الموضوع وسبب الاختيار.

١. كشف ماخفي علي جيل عن الإسلام وإسهامه في بناء الحضارة.
٢. اتساع مفهوم الإسلام والحضارة.
٣. الرد علي من يتهم الإسلام بأنه ضد الحضارة والرقي المادي.
٤. التقدم المادي ليس وحده هو الحضارة.
٥. توضيح الأسس التي يقوم عليها البناء الحضاري.

ثانياً: مشكلة البحث:

وتتمثل في إجابة التساؤلات الآتية

١. هل الإسلام قادر علي بناء الحضارة ؟
٢. هل سبب تخلف المسلمين هو التمسك بالدين؟
٣. ما دور العقيدة في بناء الحضارة ؟
٤. وهل الرقي المادي وحده هو الحضارة ؟
٥. وما الذي ينقص هذه الحضارة الغربية المعاصرة؟

ثالثاً: أهداف البحث

١. تهدف الدراسة لتوضيح أوسع الإسلام الذي يشمل كل الديانات السابقة الصحيحة.
٢. تهدف الدراسة لإيضاح مفهوم الحضارة التي تعني الرقي المادي والروحي المبني علي القيم الأخلاقية
٣. تهدف الدراسة الي أن الدين بما فيه من تصورات هو الذي يسهم في بناء الحضارة.
٤. كشف الأسس الحضارية التي يقوم عليها البناء الحضاري.

رابعاً: حدود البحث

- أشار البحث للأسس الحضارية ولم يتناول الإسهامات الحضارية بل ركز علي الأسس الجوهرية التي تسهم في البناء الحضاري.

خامساً: منهج البحث

المنهج المتبع هو المنهج التاريخي الوصفي التحليلي القائم علي بسط الحقائق من مظانها ثم تحليلها وأستنباط النتائج منها

سادساً: الدراسات السابقة

كثرة الكتابة عن الحضارة وإسهامات حضارة الإسلام ولكن الدراسة ركزت على الأسس التي أدت إلى هذه الإسهامات الحضارية

سابعاً: هيكل البحث

المبحث الأول: تعريف الإسلام و الحضارة

المطلب الأول: تعريف الإسلام

المطلب الثاني: تعريف الحضارة

المبحث الثاني: مفهوم الحضارة في الإسلام

المبحث الثالث: أسس الحضارة الإسلامية

المطلب الأول العقيدة وأثرها وعطائها

المطلب الثاني: النظام الاجتماعي

الخاتمة:

أولاً: النتائج

ثانياً: التوصيات

المبحث الأول:

تعريف الإسلام والحضارة

المطلب الأول: تعريف الإسلام

الإسلام في اللغة، الخضوع والإنقياد يقال فلان أَسْلَمَ أي انقاد^(١). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(٢).

ورد في تفسير "وله أسلم" أي أَسْلَمَ وانقاد وخضع وذل كل مخلوق فهو منقاد مستسلم ، لأنه مجبور على ما لا يقدر أن يخرج عنه ، قال قتادة: أسلم المؤمن طوعاً والكافر عند موته كرهاً ولا ينفعه ذلك^(٣).

والإسلام أن يُسَلَّمَ الإنسان أمره لربه بالكلية بغير شريك أو بديل أو مزاحم ولهذا يصف القرآن الأنبياء السابقين ومن تبعهم بأنهم مسلمون وأمثلة ذلك كثيرة، فعن إبراهيم يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٤).

(١) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار مكتبة الهلال، بيروت لبنان ط الأولى ١٩٨٣ م، ص ٣١١.

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ٨٣.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، المجلد الثاني ، مؤسسة مناهل العرفان، ص ١٢٧.

(٤) سورة البقرة ، الآيات: ١٣١ - ١٣٢.

ويطلق لفظ الإسلام ويراد به مجموعة التعاليم التي أوحاها الله لسيدنا محمد ﷺ وهي داعية إلى توحيد الله والخضوع لأحكامه والانقياد للأصول العامة التي جاء بها الأنبياء من قبل.

ومن ثم أطلق لفظ "مسلم" على كل من أتبع هذه التعاليم فيقال إن نوحاً مسلماً وإبراهيم مسلماً وموسى مسلماً وكذلك يسمى بهذا كل من تبعهم وانقاد لتعاليمهم.

ولما كان سيدنا محمد ﷺ آخر من حمل هذه التعاليم ودعا إليها أطلق عليه اسم مسلم وأطلق على أتباعه اسم المسلمين، وسمي الدين الذي دعا إليه الإسلام، وهو الدين المقبول عند الله ولن يقبل الله تعالى ديناً غيره وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٥).

فإن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه ربنا سبحانه وتعالى لهداية البشرية، وإن كل الأنبياء بعثوا بهذا الدين، وكان خاتمهم النبي ﷺ وكتابه القرآن الكريم وأمر أن يبلغه بنصه ويفسره بسنته وأضفى عليها اسم دين الإسلام، وقال في معرض استيفاء الوحي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٦).

(٥) سورة آل عمران ، الآية: ٨٥.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٣ .

فنحن مسلمون من حيث كنا ومن أي عرق انحدرنا وبأية لغة نطقنا، ولهذا الاسم حقيقة تتمثل بالمبادئ التي بنى عليها الإسلام وبالمنهاج العملي الذي رسمه والهدف والغاية التي حددها. ومتى اعتنق الفرد هذه المبادئ وارتضى لنفسه العمل بهذا المنهاج صح أن يطلق عليه اسم: "مسلم" وإن يعتبر عضواً من أعضاء هذه الأمة الإنسانية الكبرى والله نسأله أن يتقبل إسلامنا ويثبتنا عليه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المطلب الثاني: تعريف الحضارة

وأما تعريف الحضارة فمن ناحية اللغة حضر: الحضور: نقيض المغيب والغيبة ، حضر يحضر حضوراً وحضارةً. والحضارة والحضر خلاف البدو ، والحاضر خلاف البادي ، والحاضر: المقيم في المدن والقرى ، والبادي: المقيم، بالبادية ، ويقال فلان من أهل الحضرة ، وفلان من أهل البادية ، وفلان حضري وفلان بدوي والحضارة: الإقامة في الحضر ، وكان الأصمعي يقول: "الحضارة بفتح (الحاء) والحضر والحضرة والحاضرة: خلاف البادية ، وهي المدن والقرى والريف ، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار، والبادية يمكن أن يكون اشتقاق اسمها من بدا يبدو أي برز وظهر

ولكنه اسم لزم ذلك الموضع خاصة دون ما سواه ، وأهل الحضر وأهل البدو . والحاضرة والحاضرُ الحي العظيم أو القوم ^(٧) .

أما عند علماء الاجتماع يفرق العلامة ابن خلدون في مقدمته بين أهل البدو والحضر بقوله: (أعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلته من المعاش فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه وبسيط قبل الحاجي والكمالي . فمنهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة ، ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم ، والبقر ، والمعز ، والنحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها . وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ، إلى البدو ؛ لأنه متسع لما لا تتسع له الحواضر من المزارع والقدن والمسارح للحيوان وغير ذلك ، فكان اختصاص هؤلاء بالبدو أمراً ضرورياً لهم ، وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكنّ والدفاع إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ، ويجعل بلغة العيش من غير مزيد عليه ، للعجز عما وراء ذلك .

ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك إلى السكون والدعة ، وتعاونوا في الزائد على الضرورة ، واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها ، وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر .

(٧) انظر ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد الرابع ، دار الصادر ، بيروت ، ط الأولى ٢٠٠٠ م ، ص ١٤٨ .

ثم تزيد أحوال الرفه والدعة فتجئ عوائد الترف البالغة مبالغها في التأنق، في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك، ومعالجة البيوت والصروح وأحكام وضعها في تنجيدها، والانتهاه في الصنائع في الخروج من القوة إلى الفعل إلى غاياتها فيتخذون القصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويعالون في صروحها، وبيالغون في تنجيدها ويختلفون في استجادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون وهؤلاء هم الحضّر، ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان. ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة. وتكون مكاسبهم أنمى وارفه من أهل البدو، لأنّ أحوالهم زائدة على الضروري ومعاشهم على نسبة وجدهم^(٨).

إنّ الحضارة هي الانتقال من حياة البداوة إلى حياة الحضّر، وهي المرحلة المتقدمة للمجتمع الإنساني وبدأت بقيام الجماعة البشرية المنظمة حين يتكون لديها الضمير الاجتماعي وهو إدراك الفرد لذاته في علاقته بالآخرين. والحضارة بمعناها العام هي النمو والتقدم بحيث يحقق النمو والتقدم والمستوى الأعلى لحضارة العصر وحضارة أي عصر من

(٨) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، الجزء الثاني، دراسة وتحقيق وتعليق، د. على عبد الواحد وافي، دار النهضة، مصر، ط الثالثة، بدون تاريخ، ص ٤٦٧_٤٦٩.

العصور هي حضارة المجتمع الذي حقق أقصى درجة من النمو والتقدم في زمنه أو عصره^(٩).

والحضارة في المفهوم الإسلامي ليست هي التقدم المادي؛ لأن الله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، وقد تنتفخ الجاهلية بالرفاهية والترف وقد يوجد معها بعض النماذج المحدودة من الأخلاق؛ لأن فطرة الإنسان مجبولة على الخير ولا يمكن للجاهلية أن تستنفذها جميعاً، إلا إنه من المؤكد أن ذلك إلى زوال لأن الأصول التي بنيت عليها الحضارة ينخر فيها الانحلال فلا بد أن تنهار وهي نتيجة قد لا تظهر في أول الطريق ولكنها تظهر حتماً في نهايته.

يقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَرًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾^(١٠).

ويذكر المستشرق النمساوي جوستاف فون جرونباوم المولود عام ١٩٠٩م Grunebaum , G. E. Von أن الحضارة "Culture" في

(٩) انظر: سليمان الخطيب ، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام ، الزهراء للإعلام العربي ط

الأولي ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ص ٢٨.

(١٠) سورة غافر ، الآيات: ٨٢ - ٨٥.

أساسها الفكري والروحي أو الثقافة بمعنى الفكرة الجامعة عن العالم يمكن أن توصف من بعض النواحي: "بأنها نظام محدد من التساؤلات والأجوبة التي تتعلق بالكون وسلوك الإنسان فيه يقبله مجتمع بشري باعتباره نظاماً سائداً حاكماً حاسماً. وهي تتضمن معياراً للقيم يقرر الوضع النسبي لدرجة الأهمية التي تكون لموضوع السؤال والجواب^(١١). والحضارة عند الإمام المودودي^(١٢) تتكون من العناصر الخمسة التالية:

١- تصور الحياة الدنيا.

٢- غاية الحياة.

٣- العقائد و الأفكار الأساسية.

٤- تربية الأفراد.

٥- النظام الاجتماعي^(١٣).

(١١) محمد فتحي عثمان، القيم الحضارية في رسالة الإسلام ، الدار السعودية ، ط الثالثة

١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م ص ٤٢

(١٢) أبو الأعلى المودودي (١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ / ١٩٠٣ - ١٩٧٩ م) هو الإمام الداعية ولد في مدينة أونج أباد بالهند ، أنشأ الجماعة الإسلامية في لاهور ١٩٤١ م أول رئيس للجماعة له، "نظام الحياة في الإسلام" ، " تفهيم القرآن " نحن والحضارة الغربية " الحضارة الإسلامية_أسسها و مبادؤها" وغيرها.

(١٣) أبو الأعلى المودودي ، الحضارة الإسلامية ومبادؤها ، ترجمة محمد عاصم حداد ، دار العربية للطباعة والنشر، بدون تاريخ ، صفحة ٩.

وما من حضارة في الدنيا إلا وقد تكونت من هذه العناصر الخمسة وعلى هذا فإن التعاريف لكلمة حضارة ومضمونها قد كثرت وتعددت في هذا الاتجاه ولكن علينا أن نعرف ما بنيت عليه الحضارة الإسلامية فقد بنيت على دعوة موجهة ، وشُيِّدت على أساس ثابت إذا اعتبرت الإنسان بوصفه إنساناً مجرداً عن كل وصف لاحق لإنسانيته وإن الحضارة شيء من لوازم هذا الإنسان ، الإنسان صاحب المشاعر ، والعقل ، والثقافة ، والفرح ، والحزن ، والسعادة ، والشقاء ، والإنسان الذي سُخِّرَ له كُلُّ شيء وكان سبب عمارة كُلِّ شيء وإبداع كل شيء فإذا ارتضى هذا الإنسان وسمت مشاعره ورقّت حواشيه واستتارت نفسه وهواه ضميره واستقامت غرائزه ورشد خطوه واعتدل طريقه وسعدت أيامه كان ذلك هو الحضارة.

المبحث الثاني

الحضارة في مفهوم الإسلام

إنّ نظرة الإسلام الحضارية نظرة متميزة تقوم على القيم والأخلاق والخصائص الإنسانية العليا التي ينفرد بها الإنسان عن الحيوان.

إنّ النظرة الشاملة المتفحصة لنصوص الوحي الإلهي كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تقضي بصاحبها لا محالة إلى نتيجة أساسية كبرى وهي: إنّ الوظيفة الوجودية للإنسان ومآله النهائي تشكلان محور ارتكاز أساسي في اهتمام الإسلام بعد الاهتمام الأول له وهو توحيد الله سبحانه وتعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

فالغاية في من خلق الإنسان هي تمكينه من تحقيق مستوى استخلافي راقٍ وفق ما تتيحه له ظروفه وإمكانياته في عصره، ذلك لأن الاستخلاف هو الوظيفة الوجودية للإنسان كما يؤكد ذلك القرآن وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١٤) فالخلافة بمفهومها الحضاري الذي يعني تحقيق العبودية لله تعالى والسيادة في الأرض.

يقول سيد قطب في هذه الآية: "وإذن فقد وهب هذا الكائن الجديد من الطاقات الكامنة والاستعدادات المذخورة كفاء ما في هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات، ووهب من القوى الخفية ما يحقق المشيئة الإلهية ، وإذن فإن هناك وحدة أو تنافس بين النواميس التي

(١٤) سورة البقرة ، الآية: ٣٠.

تحكم هذا الكون وقواه وطاقاته كي لا يقع التصادم بين هذه النواميس وتلك وحتى لا تتحطم طاقة الإنسان على صخرة الكون الضخمة^(١٥).

كما إن الإسلام يفيض بِإِلَهِ الْإِنْسَانِ وَيَكْرُمُهُ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١٦) وهذا التكريم الذي أختص الله به الإنسان ذو أبعاد مختلفة فهي حماية إلهية للإنسان تتطوي على احترام حرية ، وعقله ، وفكره وإرادته فكانت آيات القرآن تدعو الإنسان للتفكير ، والتأمل ، والتعقل ، والآيات كثيرة في هذا الباب لأن النظر والتفكير في ملكوت السماوات والأرض على هذا النحو يؤدي إلى الرقي المادي بمعرفة سنن الله في الأشياء والاستفادة منها وتسخيرها لمنفعة الإنسان والرقي الروحي الذي يربط الإنسان بخالقه ومصوره وسخر له هذا الكون وبهذا تكون الحضارة الإسلامية هي عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها خلقياً وعملياً وأدبياً وفنياً واجتماعياً وفق منهج الله وشريعته.

فإن الحضارة في المفهوم الإسلامي ترتكز على النظرة إلى الإنسان ومكانته التي خلقه الله لها ، وخلافته في الأرض والعبودية لله وحده جل جلاله التي خلقه من أجلها.

(١٥) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، المجلد الأول ، دار الشرق ط السادسة عشر ، ١٤١٠ هـ

/ ١٩٩٠ م ص ٥٦ .

(١٦) سورة الإسراء ، الآية: ٧٠ .

المبحث الثالث

أسس الحضارة الإسلامية

فالمفهوم الذي تقوم عليه الحضارة الإسلامية له أسس ومبادئ تميزه على غيره من المفاهيم الحضارية، وهذه الأسس بنيت على فلسفة الإسلام ونظرتة إلى الإنسان والكون. ولهذا كانت هذه الأسس أضخم رصيد من القيم الإنسانية، التي لا بد من توفرها حتى تكون هذه الرسالة العالمية هي الخاتمة.

وبالرغم من وجود هذا الرصيد من القيم والأخلاق الإنسانية فإنها لا تتكرر للإبداع العلمي، والمادي، في الأرض إذ تعدّه وظيفة من وظائف الإنسان. وإن جميع ما في هذا الكون مسخر له يمارس وظيفته في الخلافة والاعمار والإبداع يقول الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٧).

ولعل في هذا التذييل بكلمة "يتفكرون" بعد التسخير لما في السماوات والأرض دلالة على إعمال العقل الذي هو أكبر نعم الله على الإنسان وبه فضّل واستخلف في الأرض وأوكل إليه عمارتها والانتفاع بها بعد أن مكنه منها وسخرها له لتحقيق ذلك في الحياة وعلاقة الإنسان بالخالق الذي خلقه ثم سخر له ما في الكون ثم جعله خليفة وعلاقة الإنسان بالإنسان وسلوكه على وجه الأرض وتحقيق منهج الله ليقوم بما

(١٧) سورة الجاثية ، الآية: ١٣.

كُلف به من عمارة الأرض كل ذلك لابد له من أسس متينة كانت أهم الركائز التي قام عليها الإسلام والبناء الحضاري للإسلام و هذه الأسس هي:

المطلب الأول: العقيدة وأثرها وعطائها

هي الأساس الأول الذي يقوم عليه التصور الإسلامي للحضارة الإنسانية ، وبفضل الله فقد وهب الله الإنسان إمكانيات تؤهله للسيادة على الأرض بهذه العقيدة الصافية التي يشيد عليها نظاماً ربانياً يحقق للبشرية سعادتها في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة ، هذه الإمكانيات هي العقل، والقلب ،والسعي. فبالعقل يهتدي الإنسان في مسالك الحياة وبالإيمان يسمو إلى ارتياد المسالك وبالسعي يتمكن من السيطرة على البر والبحر ويحصل رزقه من الطيبات قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (١٨).

والعقيدة هي الفكرة الكلية للإسلام عن الكون والإنسان والحياة وما قبل الدنيا وما بعدها. فالعقيدة الإسلامية هي الجانب النظري الذي يطلب الأيمان به أولاً وقبل كل شيء إيماناً لا يرقى إليه شك ،ولا تؤثر فيه شبهة (١٩) ،وهي الإيمان وأركان الإيمان في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

(١٨) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(١٩) محمد الخطيب ،و محمد عوض الهزليمة،دراسات في العقيدة الإسلامية ،الأكاديميون للنشر والتوزيع،الاردن ،ط العاشرة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م،ص ١١

الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) ^(٢٠). وقال تعالى: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ ^(٢١).

وأما القضاء والقدر فقد دلت عليه آيات من القرآن كقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ^(٢٢) وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ^(٢٣).

وقد دلت على ذلك أيضاً أحاديث صحيحة من حديث جبريل المشهور الذي أخرجه المسلم في صحيحة ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام ؟

فقال: "أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت أن استطعت إليه سبيلاً"

قال: صدقت ، فعجبنا له يسأله ويصدقه.

(٢٠) سورة البقرة ، الآية: ١٧٧.

(٢١) سورة البقرة ، الآية: ٢٨٥.

(٢٢) سورة القمر ، الآية: ٤٩.

(٢٣) سورة الأنبياء ، الآية: ٣٥.

قال أخبرني عن الإيمان ؟

قال: أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ،
وتؤمن بالقدر خيره وشره.

قال: صدقت.

قال: فأخبرني عن الإحسان ؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم
تكن تراه فإنه يراك. قال صدقت... (٢٤).

فقيمة العقيدة الإسلامية إنها تجيب عن الأسئلة الكبرى الملحة في
نفس الإنسان فهناك_ ثلاثة_ أسئلة تلح على الإنسان في داخله وتضعه
أمام مشكلات ثلاث ، يتطلب حلها. فإما أن يعيش في قلق وحيرة
تجاهها ، وأما أن يطرحها عن فكرة طرحاً كلياً ويعيش في دوامة كما
تسيره مطالب حياته وأما أن يظفر بحلها حلاً صحيحاً يطمئن إليه قلبه
وتهدأ إليه نفسه فيسير في حياته بهديه.

السؤال الأول: من الذي أوجدني؟

السؤال الثاني: ما هي الغاية التي وجدت من أجلها؟

السؤال الثالث: إلى أين المصير؟

(فأبان لنا الإسلام أن الله هو الذي خلقنا من العدم وقدم لنا الأدلة
على ذلك من ظواهر الكون ومن أنفسنا ، وعرفنا أن الله أزلي أبدي له
كل صفات الكمال وهو منزه عن كل صفات النقصان.

(٢٤) مسلم ، في كتاب الإيمان باب الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بـ، ثبات قدرة
الله، رقم ١

وأبان لنا أن الحكمة من خلقنا بهذه الخصائص ليمتحننا ويبلوا إرادتنا في ظروف هذه الحياة وقدم لنا الأدلة المنطقية على ذلك و المستندة على حكمة الخالق وعلمه وقدرته وأبان لنا أن وراء هذا الامتحان الجزاء بالثواب أو بالعقاب ، وإن الجزاء الأمثل لا يكون في ظروف هذه الحياة الدنيا وإنما أخره الله لحياة أخرى فإليها يكون المصير ، ووضع أيدينا على الأدلة المنطقية الدالة على ذلك وهي الأدلة المستندة إلى حكمة الخالق وعلمه وقدرته .^(٢٥)

وحين يجد الإنسان الجواب الصحيح على هذه الأسئلة الثلاثة ، تُحل لديه المشكلات الكبرى في تصوره لهذه الحياة وتتضح له معالم الطريق الذي يجب أن يسلكه ، وهكذا كان نتاج الحضارة الإسلامية حينما تحررت العقول وارتاحت النفوس فلم يكن هنالك ما يورقها ولهذا كان نتاج حضارة الإسلام أكبر نتاج علمي عرفته الحضارة الإنسانية نتاج مضبوط بأخلاق الإسلام وقيم الإسلام ولكن لك أن تقارن مع بقية الحضارات البائدة أو الحاضرة وبهذا الفهم للعقيدة كان لها أثرٌ وعطاءٌ منها:

١ - السمو الإنساني:

أول ما تعطي هذه العقيدة الطهارة في أسمى معانيها وأجمل صورها ، الطهارة من الشهوات فالمؤمن لا تستذله شهوة ولا تطوعه

(٢٥) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، العقيدة الإسلامية وأسسها ، دار القلم ، دمشق ، ط التاسعة ١٤١٨ هـ الموافق ١٩٩٧ م ص ٦٣ .

غريزة شرور بل تعطيه عقيدته قوة يستعصى بها على أي هوى أو نزوة فالمؤمن لا يضعف ولا يستكين لعواصف الشهوات وإغراءات المادة وقد يضعف أمام ذلك الكثيرون رغم ما أوتوا من علم وما بلغوا من طهارة ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٦).

إذا لم تتوفر في الشخص العقيدة كاملة في يقينه وإدراكه فإنه لا يعتبر مؤمناً حتى ولو أفنى عمره كله بالعبادة والطاعات، ووضع سلوكه وفق أحكام الشريعة وآدابها وفي مثل هؤلاء الناس نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (٢٧).

ولذلك كان هذا الإيمان مدرسة خلقية وتربية نفسية تملئ على صاحبها الفضائل الخلقية من عزيمة وإرادة وقوة نفس ومحاسبتها والإنصاف منها، وكانت العقيدة أقوى وازع عرفه التاريخ الأخلاقي وعلم النفس عن الزلات الخلقية والسقطات البشرية حتى إذا جمحت الصورة البهيمية في حين من الأحيان وسقط الإنسان سقطة ، وكان ذلك حين لا تراقبه عين ولا تطاله يد تشريع تحول هذا الإيمان نفساً لوامة عنيفة ، ووخزاً لاذعاً للضمير وخيالاً مروعاً لا يرتاح معه صاحبه حتى يعترف

(٢٦) سورة الجاثية ، الآية: ٢٣.

(٢٧) سورة الكهف ، الآيات: ١٠٤__١٠٥.

بذنبه أمام التشريع ويعرض نفسه للعقوبة الشديدة ويتحملها مرتاحاً
تفادياً لسخط الله وعقوبة الآخرة.

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أتى ماعز بن
مالك النبي ﷺ قال له لعلك قبلت ، أو غمزت أو نظرت ، قال: لا يا رسول
الله قال: (انكتهأ). لا يكني ، قال: فعند ذلك أمر برجمه (٢٨)

ورد في صحيح البخاري أن اباهريرة قال: أتى رسول الله ﷺ رجل
من الناس وهو في المسجد فناداه يا رسول الله إني زنيت، يريد نفسه
فاعرض عنه النبي ﷺ فتتحنى لشق وجهه الذي اعرض قبله ، فقال يا
رسول الله أني زنيت فاعرض عنه، فجأ لشق وجه النبي ﷺ الذي اعرض
عنه، فلما شهد على نفسه أربع شهادات ، دعاه النبي ﷺ فقال ابك جنون
قال لا يا رسول الله، فقال (أحصنت) قال نعم يا رسول الله ، قال: اذهبوا به
فارجموه) قال ابن شهاب اخبرني من سمع جابراً قال فكننت فيمن رجمه
فرجمناه بالمصلى فلما اذلقته الحجارة جمز ، حتى ادركناه بالحرّة فرجمناه
(٢٩)

ولذلك يخرج الله من النار كل من كان في قلبه مثقال حبة خردل
من إيمان فيدخله الجنة وذلك لما روى في الحديث عن أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: (يدخل أهل الجنة الجنة

(٢٨). البخاري ، كتاب المحاربين ٩٠ ، باب ١٣ هل يقول الإمام للمقر لعلك لمست أو غمزت

، حديث رقم ٦٤٣٨

(٢٩) البخاري ، كتاب المحاربين ٩٠ ، باب ١٤ سوال الإمام المقر هل احصنت حديث رقم

٦٤٣٩

وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحياء أو الحياة (شك مالك) ، فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية^(٣٠).

٢ - التصور الحقيقي للأشياء:

تبعث العقيدة في نفوس أصحابها التصور الحقيقي لقيم الأشياء فلا ينطلي عليهم غبش الدعايات وبهرج الشبهات فإن من يعرف قيمة نفسه ويعرف قيمة إيمانه ويعلم تسخير العوالم له ويعلم كذلك أن الناس كلهم عبيد الله وكلهم من خيره يرزقون فلا تزلف لأحد إذلالاً لأن الكل مخلوق والكل محتاج إلى عطف الله ورضاه وإذا استعان صاحب العقيدة فإنما يستعين بالله وإذا طلب فليطلب من الله ويعلم أن الضرر والنفع من الله ويوضح الله حقيقة الأعمال ويكشف باطل المبطلين وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ

(٣٠) البخاري- في كتاب الإيمان ، الباب ١٢ ، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال - الحديث

رقم - ٢٢٠٠، ورواه مسلم ، كتاب الإيمان (كتاب رقم ١) باب ٨٢ اثبات الشفاعة وإخراج

الموحدين من النار برقم ٣٠٤

أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾.

ثم يوضح الرسول ﷺ لابن عباس أن الله سبحانه وتعالى هو المتصرف فعلمه كلمات وطلب منه أن يحفظها فإذا حفظها حفظه الله وإذا حفظها يجد الله اتجاهه فقال له الرسول ﷺ: (وإذا استعنت فاستعن بالله. وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف) (٣٢).

وفي هذا الحديث الذي علمه الرسول ﷺ لابن عباس ﷺ أن القوة والجبروت لله تعالى ولذلك وجبت الاستعانة به وحده لا شريك له ، وأن جميع الناس لا ينفعوك بشيء ولن يضروك، وليس بإمكانهم التصرف في النفع أو الضرر إلا بشيء قد كتبه الله لك أو عليك ومن هنا كان التصور الحقيقي لما حولك ولذلك تبني أوثق هذه العقيدة في التوكل وإسناد كل الأمور إلى الله إن كانت نفعاً أو ضرراً ، ابتلاءً وامتحاناً من عنده عز وجل.

فالمؤمن يعرف عظمة خالقه وإنه هو المستحق بالعبادة خوفاً ورجاءً، وطمعاً في جنته، فعلى المؤمن أن يدرك حقائق الأشياء وأن

(٣١) سورة النور ، الآيات: ٤٧ - ٥١.

(٣٢) الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، الرقائق والورع باب ٥٩ ، رقم الحديث ٢٥١٦ ، ط الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م ، دار الحديث الظاهرة ص ٣٨١. قال الترمذي هذا حديث حسن

يعمل نظره فيما حوله حتى يتدبر ويتمعن ويلاحظ وهذه أدوات المعرفة التي زوده الله بها حتى يصل إلى الحقيقة الإيمانية و إذا لم يستخدم هذه الأدوات للمعرفة، ولم يعرف حقيقة ما حوله فإن الله قد توعدّه بالعذاب لجهله وعدم إدراكه، وعدم استخدامه أدوات المعرفة لمعرفة الحقائق فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ﴾ (٣٣).

فكان العذاب لهم؛ لأنهم غفلوا عن التصور الحقيقي للأشياء. وكان أثر هذه العقيدة السمو الإنساني والتصور الحقيقي للأشياء وذلك؛ لأن هذه العقيدة لها غاية وأثر تتركه على معتقدها. فالمعرفة بالله من شأنها أن تفجر المشاعر النبيلة، وتوقظ حواس الخير وترتبي ملكة المراقبة، وتبعث على طلب معالي الأمور وأشرفها، وتتأى بالمرء عن محقرات الأعمال وسفاسفها. - والمعرفة بالملائكة تدعو إلى التشبه بهم والتعاون معهم على الخير.

- والمعرفة بالكتب السماوية إنما هي عرفان بالمنهج الرشيد الذي رسمه الله للإنسان كي يصل بالسير عليه إلى كماله المادي والأدبي.

(٣٣) سورة الأعراف ، الآية: ١٧٩ .

- والمعرفة بالرسول إنما يقصد بها ترسم خطاهم والتخلق بأخلاقهم والتأسي بهم، باعتبار أنهم يمثلون القيم الصالحة والحياة النظيفة التي أرادها الله للناس.

- والمعرفة بالقدر تزود المرء بقوة وطاقات تتحدى كل العقاب والصعاب وتصغر دونها الأحداث الجسام.

وهكذا يبدو بجلاء أنّ العقيدة إنما يقصد بها تهذيب السلوك وتركيب النفوس وتوجيهها نحو المثل الأعلى^(٣٤).

كما أن العقائد تبعث في نفوس أصحابها الرجاء في الله وطمأنينة القلب يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣٥).

(وهذا الإيمان هو الركن الأساسي الذي بدأ الإسلام به في تكوين شخصية المسلم؛ لأنه هو الجذر الأول في بناء شخصيته، وهو العنصر الأساسي المحرك لعواطفه، والموجه لإرادته، ومتى صحت عناصر الإيمان في الإنسان استقامت الأساسيات الكبرى لديه وكان أطوع للاستقامة على الطريق الحق، والخير، والرشاد، وأقدر على التحكم بأنواع سلوكه، وضبطها فيما يدفع عنه الضرر والألم والمفسدة العاجل من كل ذلك والأجل، وفيما يجلب له النفع واللذة والمصلحة العاجل من

(٣٤) انظر السيد سابق، العقائد الإسلامية، دار الفكر، ط الثانية ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ص ٩

- ١٠.

(٣٥) سورة التغابن، الآية: ١١.

كل ذلك. وهذه ما يطلبه منا الإسلام الذي هو أساس الحضارة التي هي السعادة للفرد "وقد أدرك حديثاً الباحثون من غير المسلمين قيمة العقائد في توجيه سلوك الإنسان ، فبدأ يتحدثون عنها تحت عنوان "أيدولوجيات".

ولكنهم ما استطاعوا أن يصلوا إلى المستوى الذي وصل إليه الإسلام ، إذ هو يبني في الفرد المسلم إيماناً ، لا يضارعه ولا يشابهه أي عنصر اعتقادي "أيدولوجي" يحاولون غرسه في نفس الفرد من أفرادهم^(٣٦).

وبهذه العقيدة وفهمها كان الإسلام يظل الأرض عدلاً ورحمة ؛لأنه منهج رباني ، الرقابة فيه لله الواحد المتعالي هو الذي يعاقب وهو الذي يعلم كل صغيرة وكبيرة ولكنه يمهّل ولا يهمل وبهذا كان المؤمن الصادق دائماً في رقابه ذاتية لأن عين الله تراه ووكل به ملكان يسجلان كل ما يلفظه أو يكتبه أو يعمل به وبهذا كان المؤمن الصادق التوجه هو الباني لأعظم حضارة عرفت البشرية.

المطلب الثاني: النظام الاجتماعي

الأساس الثاني للحضارة الإسلامية هو النظام الاجتماعي المتكامل الذي جاء به الإسلام، وصبغ بها الحياة وهو نظام رباني اختاره الله للبشرية لتقوم بدورها في عمارة الأرض والاستخلاف الذي أراده الله تعالى.

(٣٦) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، العقيدة الإسلامية أسسها ، مرجع سابق، ص ٣٠ .

فكانت القواعد الاجتماعية والنظم العلمية للحياة بداية بالأخوة الإنسانية في شمول، وعمق، وأصول، ومبادئ حيث جعل مبدأ الإخاء الإنساني الذي يكفل له الحرية ولا يجعل لأحد على أحد أفضلية أو تكريم إلا بقدر التقوى والعبودية لله تعالى ، فالإسلام ينظر إلى الناس كلهم أبناء رجل واحد وامرأة واحدة ضمهم رحم واحد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٣٧).

وكان رسول الله ﷺ يقول دبر كل صلاة: (اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد أنك انت الرب وحدك لا شريك لك (قال إبراهيم مرتين)ربنا ورب كل شيء انا شهيد أن محمد عبدك ورسولك ربنا ورب كل شيء انا شهيد أن العباد كلهم إخوة اللهم ربنا ورب كل شيء اجعلني مخلصاً لك وأهلي في كل ساعة من الدنيا والاخرة ذا الجلال والاکرام اسمع واستجب) (٣٨).

فالإسلام نظر لكل البشر بعين المساواة والفرص أمامهم متساوية للسمو بهذه النفس والترفع بها أو حطها بالذائل في الدركات ، ولهذا قرر الإسلام أن الناس سواسية في القيمة الإنسانية المشتركة فالإنسان

(٣٧) سورة النساء ، الآية: ١.

(٣٨) الإمام أحمد ، المسند، ج ٤ /حديث ٣٦٩.برقم ١٩٣١ وضعفه الالباني،ذكره العقيلي في الضعفا وقال حديث باطل لا اصل له ،ذكره النسائي ،في السنن الكبرى ،برقم ٩٩٢٩

في المجتمع الإسلامي مخلوق رائع مكرم أودعت فيه مواهب مدهشة وطاقات عظيمة مع تمتعه بحرية الاختيار.

في هذا المجتمع الغي الإسلام رابطة العصبية القبلية المفرقة التي كانت في المجتمع الجاهلي وأحل محلها رابطة العقيدة فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٣٩).

وقرر الإسلام المساواة بين الرجل و المرأة في كثير من الحقوق والواجبات الشرعية من الثواب والعقاب وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٤٠).

وهذه الدرجة التي للرجل أما درجة النبوة وإما درجة صبره عليها أن غضبت وأرجح الأقوال: درجة المسؤولية عن الأسرة وحمايتها والإنفاق عليها فالقوامة وظيفة كيان الأسرة ولإدارة هذه المؤسسة الخطيرة لابد من وجود القيم في مؤسسة ما ، لا يلغي وجود حقوق الآخرين والشركاء فيها والعاملين في وظائفها ، ولقد حدد الإسلام صفة قوامة الرجل وما يصاحبها من لطف ورعاية وصيانة وحماية مع تكاليف في نفسه وماله

(٣٩) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٤٠) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

وآداب في سلوكه مع زوجه وعياله ، فالسمة المسيطرة على هذه المؤسسة الصغيرة هي سمة المودة ^(٤١)..

والإسلام وضع الضوابط لعلاقة الرجل و المرأة وجعل لذلك حقوقاً وواجبات تؤدي بين الرجل و المرأة وفق أسس شرعية معلومة، وجعل لذلك عقداً من العقود وهو عقد الزواج. لذلك كانت عناية الإسلام بالعلاقة الزوجية فوق عنايته بأية علاقة إنسانية أخرى واهتم بكل مرحلة من مراحل هذه العلاقة فتعرض للخطبة التي تعارف الناس عليها قبل الزوج ، وبين الإسلام من تحل وتحرم خطبتها ومن قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ ^(٤٢) وبيّن الإسلام من تحل للرجل الزواج بها ومن تحرم عليه من النساء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ

(٤١) شوقي أبو خليل ، الحضارة العربية والإسلامية ، دار الفكر المعاصر ، ط الأولى ١٩٩٤ م

ص ٣٩٤ ،

(٤٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

أَيَّمَاكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤٣﴾.

أوجب الإسلام أن تبني العلاقة الزوجية على عقد واتفاق يرضي فيه الزوجان بالاقتران الدائم ويتعهدان على أداء ما فرض الله عليهما فيه من حقوق ومنع التوقيت (أي الزواج المحدد بوقت) فيه قصداً إلى بقاءه ودوامه، وميزه على غيره من العقود المتعلقة بالمال كالهبة والتجارة وغيرها لأنه عقد الزواج بين ذكر وأنثى من الآدميين ولهذا سماه ميثاقاً غليظاً وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَخْذَنْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ﴿٤٤﴾.

وأخذ التشريع في تنظيم العلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان وضبط السلوك فكان النظام الأخلاقي في الإسلام والتفرقة بين ما هو حسن وقبيح وكان انتظام مصالح الجماعة واتجاه مصالح الفرد وهل هنالك من تضارب؟ فإن كان من تضارب فأيهما تقدم؟ مصلحة الفرد أم الجماعة ولذلك قاد الإسلام تغييراً شاملاً في المبادئ والمفاهيم الأخلاقية و الغي قيماً قديمة، وأوجد قيماً جديدة يقصد إيجاد ذلك الرجل المثالي، والمجتمع المثالي وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ

(٤٣) سورة النساء ، الآيات: ٢٢ - ٢٤ .

(٤٤) سورة النساء ، الآية: ٢١ .

كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا * وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا * وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقِىَ نَحْسٌ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا * وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا * وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا * وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا * وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٤٥﴾.

ومن النظام الاجتماعي إن النظام الأخلاقي في الإسلام ينبثق من
تصوره للكون والوجود ويعتمد هذا التصور على أن لهذا الكون إلهاً وأنه

(٤٥) سورة الإسراء ، الآيات: ٢٣ - ٣٨ .

لا إله غيره خلق الكون وأوجده ، وهذا الكون يسير بانتظام مدعناً لأمر الله ومشيتته والإنسان جزء من هذا الكون خلقه وسخره لعبادته حتى يقوم بالخلافة والإعمار والعبادة والانقياد لأمره ولا معنى لحياة الإنسان أن لم تكن كلها خالصة العبودية لله فالغاية البعيدة من مجهودات الإنسان ومساعيه في الدنيا هي ابتغاء وجه الله تعالى ونيل رضاه وهذا هو القياس الذي يقاس به كل عمل من أعمال الإنسان ويحكم عليه بالخير والشر في مقابل مقاييس اللذة أو المصلحة أو السعادة أو غيرها.^(٤٦)

وعلى هذا كان بناء النظام الاقتصادي والسياسي والاجتماعي وجميع أنظمة الحياة على أساس رضا الله سبحانه وتعالى ولهذا تم بناء الحضارة الإسلامية من خلال قواعد إلهية ثم بناء القيم والأنظمة التي أنجبت أعظم حضارة عرفت البشرية لما تميزت به من رقيها المادي والروحي ، عاشها الإنسان واقع حياة ولم تكن نظريات لم تجد حظها من التطبيق كحال كثير من النظريات.

ففي حملها للروابط بين الفرد والأسرة والمجتمع فلسفة تقوم على التكافل لهذه الحلقات جميعاً وتوجيهها للعمل من أجل صالح الإنسانية ، والتكافل الذي يعرفه الفكر الإسلامي شامل لأنه لا يقتصر على الجانب المادي وإنما يعني التكافل الروحي والأخلاقي كما أنه ليس

(٤٦) عبد الكريم عثمان ، معالم الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة ، ط الثامنة عشر

١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ٢٨٨

التكافل الذي نعرفه حديثاً بين الفرد والدولة ولكنه تكافل هذه الحلقات على مستوياتها المختلفة. هذا بخصوص الجانب الاجتماعي ولذلك كانت آثار هذه الحضارة في كل العلوم الكونية روائع عرفت البشرية والنهضة الحديثة مدينة لحضارة الإسلام بما عرف منها وقد كتب عن هذه الحضارة وعن دورها غير المسلمين والفضل ما شهدت به الأعداء^(٤٧).

١

(٤٧) لمزيد من ذلك أنظر، غوستافلوبون، حضارة العرب - نقله الى العربية، عادل زعيتر، ط الربعة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، و زيجريدهونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الالمانية، فاروق بيضون/كمال د سوقى، بيروت، ط الثامنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م

لخاتمة

أولاً: النتائج

١. اتساع مفهوم الإسلام ليشمل دين كل الأنبياء.
٢. الحضارة ليس الرقي المادي فحسب بل تعني الرقي المادي والروحي.
٣. أن الإسلام كرم الإنسان وأعلا من مكانته
٤. أن الحضارة الإسلامية لها أسس عقدية علي أسسها كان بناء الحضارة
٥. العقيدة الإسلامية أراحت العقول بالإجابة علي الأسئلة الملحة فاتجهت هذه العقول للبحث وبناء الحضارة
٦. العقيدة تسمو بالإنسان وتجعل من ضميره حارساً يقظ غليه وتعطيه الأمان والطمأنينه
٧. الإسلام ينظم الحياة في كافة المناحيوالمناشطبتنظام رباني بعيداً عن الشهوات والميول البشرية والتأثيرات البيئية
٨. من توجيهات الإسلام الربانية انبثقت كل أنظمتة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وقيمه وأخلاقه.
٩. غاية المسلم في عمله ونشاطه أرضا الله تعالى.

١٠- أن الإسلام بناء أعظم حضارة واقعية كان لها من الآثار و الإسهامات والفضل ما شهد به الاعداء.

ثانيا: التوصيات

١- بناء مؤسسات دورها غرس مفاهيم وحقائق الإسلام في الجيل الناشي في مرحلة البناء ثم الرد علي الشبهات التي يفتريها أعداء الإسلام.

٢- تثقيف الدعاة الي الله بثقافة الإسلام مقرونة بوعي والتزام وأتزان

٣- بناء مراكز لدراسة الحضارة وتفعيل مراكز حوار الحضارات.

٤- عقد مؤتمرات لتفعيل دورالشباب المسلم في بناء الحضارة.

٥- توجيه البحوث العلمية لمغرفة اسباب الوهن الحضاري ومعالجة تلك الاسباب.

٦- تكوين لجان من العلماء مشهود لهم بالكفاءة علي مستوى العالم الإسلامي وتكون مهمة هذه اللجان هي الدعوة الي الله وبيان قواعد الإسلام مع التركيز علي مزايا الإسلام وخصائصه ،والمهمة الثانية هي التصدي للمفتريات التي توجه للإسلام من الأعداء وتنقية المناهج الدراسية والتربويةمنها.

والله الموفق